الدولة بين الناسوت واللاهوت

القديس اوغسطين نموذجا

عفيان محمد (*)

كيف للمواطن داخل الدولة الإمبراطورية الرومانية أن يقبل التدهور بعدما كان هو الغالب وغيره من الناس أعاجم وتابعين؟ وكيف للدولة الإمبراطورية أن تسقط في زمان إكتمال التدبير السياسي بالجانب الدينين بعد إعلان الإمبراطور قسطنطين زريق المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية؟ هل هذا صدفة أم لعنة من المسيحية أم أفول وتراجع الإمبراطورية أمام توسعها وتأزم الوضع الاقتصادي داخل مجتمعاتها؟

تعددت التفسيرات لكن ما وقع قد وقع وبرع الناس في تبادل التهم منها أن اللعنة لحقت بروما نتيجة الإعراض بآلهتها وأن وراء الانحطاط ديانة الجديدة، الأمر الذي فنده **القديس أوغسطين**، وأعلن رده على هجومات الوثنيين مستمدا سلاحه من التاريخ السياسي واليوتوبيا، والنسق **الأفلاطوني** و**الأفلوطيني**، موزعا أفكاره أمام ثنائية الخير والشر، السماء والأرض، الأبرار والأشرار، وروح هذا التقسيم لها بعد مانوي، فبعد إعراض **القديس أوغسطين** عن المانوية كديانة، قد أبقى على ثنائية القسمة داخلها.

" وفي هذا المؤلف أعلن تحديه للوثنية مبينا زور هذه التعاليم"[1]، حيث أن السبب الحقيقي لسقوط الدولة الإمبراطورية هو الانهماك في محبة الشيطان الأمر الذي حجب محبة الله وبالتالي الإسراف في الماديات الأرضية ورم خبيث داخل النظام السياسي يجب استئصاله لبلوغ حقيقة الدولة التي هي ظل لمملكة المسيح السرمدية.

---

* - أستاذ مساعد .. شعبة الفلسفة جامعة سعيدة.

1- النشار مصطفى. الفلسفة السياسية من صولون حتى إبن خلدون . الدار المصرية .القاهرة . 2005 . ص127

وخلاص وقوة **الدولة** لا يؤمنها التمثال بل حقيقة الدولة المستمدة من التاريخ المسيحي الذي يبلغ غائيته بانتصار المدينة السماوية على **المدينة** الأرضية وتتحقق مملكة المسيح المقدسة " فلم يكن التمثال حارسا للناس بل الناس هم الحراس عليه، وكان الوطن والمواطنون بحكم طقوسهم العامة، في حماية الآلهة العجزة عن حماية حراسها"[1].

فتسليم **المدينة** إلى الأوثان هو من تسليم العقل على شهوات الأبدان وهذا يخدم مدينة الشيطان، والدليل التاريخي حاضر مع انهيار إمبراطورية **روما**، لذلك لا معنى لهجومات الشعراء ضد المسيحيين، بل الأولى الوقوف أمام النفس وإدراك الخطيئة وسبل التحرر منها لتحقيق المواطنة داخل المدينة السماوية. **مدينة الإطيقا والعدالة والإيمان**. والخلاص الذي يؤمنه المسيح، أما عمارة وقوة المدينة الأرضية وأبراجها وإقتصادها كل هذه أوهام يترفع عنها كل من أدرك حقيقة المله وهذه الحقيقة تحرره من العبودية وغلبة الاقوياء والخراب حيث يقول **القديس أوغسطين:** "في الكتاب الأول من مدينة الإله العذارى يسبين والأطفال ينتزعون من أحضان أمهاتهن والنساء يتعرضن للإهانات من قبل الظافرين، بيوت ومعابد تنهب، أسلحة وجثث في كل مكان، قتلى وحداد في كل مكان"[2]، والملجأ الأمين من هذا الدمار هو الكنائس التي لم يمسسها جرم العدو، وليست الآلهة المغلوب على أمرها.

فروح التدبير السياسي لا معنى لها ولا استمرارية دون تطابق الجانب اللاهوتي بالناسوتي ويكون هذا باحداث قطيعة مع شهوات وقوى الشيطان لتسير الدولة مسارها الحقيقي وتظلها العناية الإلهية وتحميها القيم الأخلاقية وتصونها قداسة المسيح"لذلك المدينة السياسية عند القديس أوغسطين فيها نواحي دينية وأخلاقية واضحة المعالم"[3]. فالدولة الحقيقية روح قوانينها اخلاقية وليست مادية ورعايتها روحية وليست شيطانية وحضارتها أبدية وليست آنية فيها يكتمل اللاهوت بالناسوت ووزن الفرد

1-القديس أوغسطين . مدينة الله الكتاب الأول ص 12
2-المصدر نفسه . ص 15
3- **توماس مور . يوتوبيا .ترجمة بطرس سمعان. الهيئة المصرية للكتاب . ط 2. 1987 ص 43.**

داخلها هو من حبه الذي يطلب العليات من الاشياء بدل الدنيات من الأغاليط التي تجلب الوهن والضعف وتجعل الحضارة في الأعجاز بعدما تكون في الهامات.

ولتجاوز ما هو كائن، وبتبرير الوضع السياسي، ورفع التهم عن المسيحية التي ألصقت بها لعنة سقوط الإمبراطورية الرومانية، وقصد البحث عن الأفضل يتوقف الاهتمام بالماديات، ويفني الفرد ذاته لبناء حضارة على دعائم روحية، ينعطف **القديس أوغسطين** صوب فلسفة التاريخ في صورة روحها مستمدة من الثنائية المانوية في التقسيم بين المدينة الأرضية والمدينة السماوية، وجوهرها يعكس الصراع الدائم بين المدينتين ومنذ نشأتها التي كانت شرارتها الأولى هي من تمايز الخير عن الشر، والعفة عن الرغبة والحسد، فكانت الحياة بحسب الروح، والحياة بحسب الجسد ولكن نموذج تجليات فاتخذ **أوغسطين** صورة كل مدينة من خلال ثنائيات **روملوس** و**رمسيس، إسحاق** و**إسماعيل، قابيل** و**هابيل،** ويبين المدينتين نقاط للتفرقة منذ البداية إلى نهاية التاريخ في صورتها المسيحية أين تسود قيم العدالة والتسامح ومحبة الله مع سلطان الكنيسة التي كانت للمسيح وبنزوله ينتشر العدل وترتفع السيوف عن التقاتل ويمجد الصابرين داخل المدينة السماوية.

ويعود **أوغسطين** بعد ذكر انطلاقة كل **مدينة** ليعرض مسارهما " إذ يتحدث عن مصدر الخليقة، ثم يضع لها أيضا نهاية في آخر الزمان، وهذا يعني أن البدء كان **بآدم** ثم ولد له **قابيل** الذي أسس بالفعل المدينة الأرضية بينما **هابيل** عضو المدينة السماوية ولم يؤسس له مدينة في الأرض ليظهر أنه موجود في هذا العالم وهو الطريق إلى الحياة الخاليةوفي الحياة الخالدة"[1] المدينة الإلهية لا يكون لها نهاية ونقطة انطلاق في فلسفة التاريخ تستمد نواة صيرورتها حسب طبيعة الخلق الخاضع لمدينة إلهية إضافة إلى الرد على تهم الوثنيين الذي هو انطلاقة لخوض أوغسطين في الميدان السياسي.

1- زيعور علي، أغسطينوس، مع مقدمات في العقيدة المسيحية، دار إقرأ بيروت ط 1 1983 ص245.

الأمر الذي جعل المؤلف من وزن "**مدينة الإله**" يتميز بازدواجية **الدفاع**، فمن جهة الدفاع عن مبدأ العناية الإلهية والدفاع عن سقوط **روما**، أما الدفاع الأول يعكس خضوع وقائع التاريخ للمشيئة الإلهية "بل هي التي شكلتها على نحو ما هي عليه بالقدر الذي ينكر القول بالمصادفة لأنها لا تعني في نهاية المطاف سوى العبث والفوضى وبالطبع فإن الإيمان بالعناية الإلهية يقتضي بالضرورة الإيمان بالله"[1]، ومبدأ العناية الإلهية مشهود له مع التبشير المسيحي بالقدر الذي يعطي نور الحقيقة للكنيسة التي تجعل من كل مسيحي هو شعب الله المختار الذي يخلصه المسيح من الدنس والشرور وينصره على حب الذات ومعلمها المتجلي والمتجسد في المدينة الأرضية، التي لا تعرف الحياة الأبدية فهي عالم الزيف والزور إن جاز لنا استعارة المصطلح من **جمهورية أفلاطون** في حديثه عن ثنائية المثل والوقائع.

فالواقع كله يتطلب الصبر وترويض النفس عند سكان المدينة الإلهية، إضافة إلى عدم الاكتراث للملذات قصد الوصول إلى **أرض الميعاد** أين تطيب فيها الحياة للجميع روحيا، ومادام الأمر على هذا النحو فسلطة الحاكم مستمدة من اللاهوت المسيحي ومن خالف هذا فهو متمرد عن مشيئة الإله وإطار هذا اللاهوت يسرده **القديس أوغسطين** في حديثه عن مسار التاريخ وفق مبدأ العناية الإلهية روحه ناجمة عن تعاقب ست عصور حسب الكتاب المقدس من **آدم** إلى الطوفان ومن الطوفان إلى **إبراهيم** ومن **إبراهيم** إلى **داوود** ومن **داوود** إلى النفي لبابل ومن النفي إلى ميلاد **المسيح** وأخيرا من هذا الميلاد إلى نهاية الأزمنة بحد ذاتها قدوم اليوم السابع[2].

والأحداث في مسار التاريخ المسيحي فريدة من نوعها ولا تتكرر على عكس القائمين بالتعاقب الدوري فصلب المسيح ليخلص البشرية من الخطيئة الأولى حادثة لا تتكرر، فالتاريخ كله مثل المسرحية مؤلفها الرب والممثل فيها هم البشر، وتأسست المدينة بالإرادة البشرية حيث مالوا إلى الحسد وقد دخل الشر إلى الأرض بمعصية آدم وهبوطه إلى الأرض وتوالده

1- صبحي أحمد محمود، في فلسفة التاريخ. دار النهضة العربية. لبنان د ط .1994 ص166 .
2- فرونسوا شاتلية و آخرون: معجم المؤلفات السياسية، المؤسسة الجامعية للدراسات والتفكير، بيروت ص 117 .

فكثرت الأيام ولما كانت في الإنسان محبتان، محبة الذات ومحبة الله، فقد نشأت مدينتان ترجع إليهما سائر المجتمعات البشرية وتعرف المدينتان تطور إلى النهاية في غائية التاريخ حيث تتحقق السعادة الأبدية و الفصيلة الأخلاقية، في صورة أبدية غائية وروح التاريخ مستمد فيها من الجانب الديني.

وطبعا كما ورد في بدء الكلام بين المدينتين صراع منذ البداية، وهذا راجع لاختلافهما فهدف **المدينة السماوية** العمل من أجل إرضاء الله وتحصيل السعادة الأبدية، وعمل أهل **المدينة الأرضية** دوما مرهونا بإرضاء الذات، وهذا سيكون على حساب الجانب الروحي لذلك كل حضارة تسير وفق هذا المبدأ مصيرها المعجل دون ريب هو **الانحطاط** وهذا ما عاشته **الإمبراطورية الرومانية** التي عمل أفرادها على تكديس الخيور المادية وأعرضوا عن محبة الله، فسقطوا في الهزال السياسي فأصبحت الإمبراطورية لقمة سائغة في أيدي قبائل القوط الهمجية التي أحرقت المدينة، فتاريخ روما هو تاريخ مدينة أرضية لا أكثر ولا أقل.

أما المدينة السماوية فتفضل الحرب مع المدينة الأرضية حتى تتفادى ما حدث **للإمبراطورية الرومانية**، وتعمل جاهدة للصمود ضد الشرور فريثما يحل المخلص ويبث العدالة ينشر التسامح، وتصبح كل القيم عذراء لم تمسسها دنس الشهوات المادية، ويصبح رمز هذه المدينة أورشليم الخالدة الأبدية، والتي مخلصها من الشرور هو الإله، وحتى الفلسفة قاصرة عن تجاوز ما هو كائن إذ وحدها دون لاهوت تبقى قاصرة، حيث يذكر **إتيان جيسلون** قائلا:"بل الأمر يتطلب العودة إلى الدين وعليه يوجد إله واحد الذي صنع لنفسه اسمين يعبران في آن واحد عن ذاته على سر السيادة وسلطة الرب الكائن الذي هو الإله، إله الفلاسفة والعلماء هو اليسوع، وهو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب"[1]، فالله هو موضوع لهم وهو سبب التاريخ

1 - Ettienne Gilson, ***philosophie et innervation selon. Saint augustin***, conférence Albert le grand. Institut des études médiévales, 1947

ويتعالى عليه، وحركة التاريخ معدة سلفا حسب مخطط العناية الإلهية منذ نشأة المدينتين إلى نهايتهما الأخيرة.

وهناك كل مدينة تلقى مصيرها، ومسار التاريخ يتماشى وفق عناية الله، فوحده هو القادر على إقامة العادلة، لذلك يتوجب إتباع وطاعة الكنيسة فهي الرعية عن البشر فالعبد له صلة بربه والدول والإمبراطوريات القديمة في مرحلة ما قبل **المسيح** لم تكون قوة حضارية بالمعنى الحقيقي كونها لم تدرك لمعنى الحقيقي للعدالة ومع المسيحية يطغى الاهتمام بالجانب الروحي الذي يلقي بالدولة إلى مستوى القداسية، وببعدها عن فوضويات التدبير البشري المحدود والضيق.

فذروة التقدم التاريخي المطلق للمدينة نبلغها بالإيمان الروحي والدعوة إلى ترك المادة وإلى المقاومة الروحية وإن كان المقصد سياسي من وراء مدينة الإله وهو تبرير بسقوط **الإمبراطورية الرومانية** ودفاع عن المسيحية المتهمة فهذا ناجم عن صراع الذات مع الإيمان، وتعارض الخير مع الشر عبر الأزمنة، وهذا ما يضع **أوغسطين** أمام فلسفة التاريخ في حديثه عن تقدم المدينة الأرضية والسماوية والتعايش بينهما والحروب التي تدور بين هذه الإيمانية، وتلك الأرضية إلى غاية الخلاص الذي ينزل مع المسيح المكفر عن خطايا البشرية وناصر المدينة السماوية، ويبث العدالة ويحقن الحروب ويحقق للفضيلة التي لا يدنو إليها دنس المادة وشر النفس، وخطأ الإرادة في الميل إلى شيطان.

وبالخلاص النهائي في مسار تاريخ المدينتين نجد المجتمع السماوي هو المجتمع الذي أفراده تطهروا روحيا وتخلصوا من الخطيئة في هذا العالم، وكذلك العالم الآخر، حيث يتخذ التنظيم الاجتماعي شكلا دينيا خالصا والمسؤولية من إرادة الله ومشيئته لا من مسؤولية البشر التي هي عرضة لمختلف الإنزلاقات واللعنات وتميل إلى تقديس اللذات على حساب الله ويغيب معها التكامل والتساند.

بل مع الصبر يكون **السلام الأبدي**، والشقاوة والعذاب لمن سار عكس هذا، لأن مبادئ الخير وشروط الاستمرار هي واضحة وجلية لا ريب

فيها لمن يتماشى مع الكنيسة، " فتاريخ الكنيسة وبالتحديد هو خط سير الله في العالم، والجنس البشري في واقع الأمر ليس إلا أسرة واحدة، ولكنه لن يبلغ مصيره النهائي على الأرض بل في السماء والحياة الإنسانية هي مسرح لصراع مختلط بين الخير كما يتجلى ويتمثل في الأرواح الشريرة، فالتاريخ الإنساني ليس إلا الكشف الأعظم عن سبيل الخلاص الإلهي"[1].

والنصر الإلهي لن يكون هكذا جاهزا، بل الأمر نابع من التجربة ومحاربة الشر إضافة إلى الاختيار، إما بالميل إلى مجتمع يقدس الذات، أو مجتمع يخترقها ويعطي الأولوية لمحبة الإله وتجاوز الأوثان والتحرر من كل ما له علاقة بالجسد الفاني والشهوات التي تحجب نور الإيمان لذلك، جعل **القديس أوغسطين** التمييز بين المدينتين في مسارهما التاريخي، وهذا من جوانب عديدة أخلاقية، ودينية واجتماعية، واقتصادية وسياسية، "فالتاريخ البشري يخضع باستمرار لاحتكاك هاتين الجماعتين الخيرة الإلهية، والشريرة الشيطانية، وإلى التنافس بينهما، فتقف مدينة الأرض من ناحية تدفع مجتمعها الأرضي الحوافز والدوافع الدنيا التي تستهدف التسلط والتملك، في حين تقف في الناحية الأخرى مدينة الله بمجتمعها الذي ما وجد إلا التماسا للسلام السماوي والخلاص الروحي لامادي في الحياة الأبدية"[2].

فالفكرة الدينية واضحة وجلية من خلال التفسير الأوغسطيني للتاريخ ولمجراه نحو الغائية الروحية التي فيها يخلد الأفراد على الإيمان وتنزع من ذواتهم كل الشرور وكل بواعث الاختلاف والرذيلة وبعد انقضاء العصور يأتي زمان ظهور ونزول **اليسوع** مخلص البشرية ليقضي على الشرور التي زرعتها المدينة الأرضية. وبتقوية مفهوم المحبة، "فحينما نادى **المسيح** بالمحبة فإن لم يقصد بها سوى تلك العلاقة الحية التي تقضي على الثنائية وعلى الانفصال بين الله والإنسان.

ولهذا فقد لم يستبدل **المسيح** العلاقة اليهودية القائمة بين العبد والسيد بعلاقة جديدة هي علاقة الأبناء بأبيهم فالمحبة هي الرابط الذي يمكن

1- سباين جورج، تطور الفكر السياسي، تطور الفكر السياسي، ترجمة. حسن جلال العروسي. الكتاب الثاني. دار المعارف ط 04 .1971 ص 278.
2- سباين جورج. تطور الفكر السياسي ص 276.

أن يجمع الإنسان والله "[1]، وبنزول **المسيح** الذي يفصل في النزاع بين إتباع الهوى وإتباع القيم الروحية، يجدد المحبة فهي ولادة جديدة عند أهل المدينة الخالدة السماوية.

وفي الحديث عن **صيرورة التاريخ** نحو غاية هي الكمال الروحي نجد **القديس أوغسطين** يطل على مشارق أخرى، فمن تبرئة ذمة المسيحية المتهمة، التي قيل إنها **القديس أوغسطين** يطل على مشارق أخرى فمن تبرئة ذمة المسيحية المتهمة، التي قبل إنها لعنة على الرومانيين المتخلين عن عبادة كبير الآلهة جيوبتير، يدخل ميدان الأفكار التاريخية التي حبل وريدها مرتبط بالكنيسة، ومن التعاليم المسيحية التي تستجيب لأمل المستضعفين وترجئ لهم الخلاص إلى اليوم الأخروي. في هذا الانتظار تبرز أهداف التاريخ الإنساني ومقاصده.

ومنذ هبوط آدم من الجنة، وكيف تشكلت المدينة الأرضية والمدينة السماوية والعامل في ذلك هو **الغيرة** و**الحسد**، وكيف يبدأ الصراع بينهما لاختلافهما من حيث المنطق المنتهي، وفي نهاية التاريخ في صورته الروحية المسيحية يفصل **المسيح** ويحدد المصير النهائي لكل مدينة هذا من ناحية.

ومن الناحية أخرى فقد برع**أوغسطين** في تحليل التاريخ الروماني، بل وحديثه عن نماذج المدن الشيطانية قاده إلى الإمبراطورية الأخرى السابقة، وبين كيف أن تكدس الأوضاع المتدنية على مختلف المستويات هي التي عجلت بانهيار روما وهذا لأن الدولة الرومانية درع دنيوي تسربت إليه الشرور وطغت فيه الماديات مما جعل روما مدينة أرضية.

وبشر المسيحيين والرعية بالخلاص وبنموذج الدولة الخالدة لكن شريطة الألم والصبر على الشر، وتربية النفس لخدمة الفضيلة الأخلاقية وحدها، حتى يتطهر الإنسان بولادة جديدة من دنس الخطايا ومن التنازع بين القوة الدينية والقوة الدنيوية، وحجر تأسيس المدينة السماوية هو من روح القلوب إذ المحبة حاضرة في عملية انتقال التاريخ من حقبة إلى أخرى

---

1 - **عباس فيصل، الاغتراب والإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 68.**

مثلها نجد حضور العناية الإلهية، وريثما ينزل **المخلص** تنوب الكنيسة عنه وهذا ما غذى روح التيولوجيا التي تعطي مشروعية استبداد الكنيسة والحاكم الذي هو تحت ظل الإله ومن خالفه خالف مشيئة الإله.

واجب الرعية الصبر وانتظار التعويض بعد نزول **المسيح**، وللكنيسة مشروعية استغلال الاقتصاد والطغيان السياسي والسلطة الروحية، وبعدما كان الأفراد يعتقدون أنهم يتحملون الخسائر في حربهم ضد المدينة الشيطانية في حين وقعوا في خسائر أشد وقرا إذ تخدير العقول ورهنا بالخلاص جعل السنة الأفراد وثرواتهم تحت تصرف الكنيسة، وبالتالي وقعوا في حربين الأولى شخصا **أوغسطين** فبصراع المدينة الحربية مع السماوية وقعوا في حربين الأولى ضد المدينة الارضية، والحرب الثانية ستكون ضد طغيان الكنيسة أو ما تحول إلى تيولوجيا، وهذا كون الشعب الممثل للمسرحية الإلهية ليس من حقه خيانة السيناريو بل يجسده فتحولت مدينة الإله إلى مذهب عرف بالأوغسطينية السياسية لاحقا يجعل الحاكم له الحق في رقاب للناس وهو من تفويض إلهي وكل من خالفه تلاحقه محاكم التفتيش بلك من تدهور الحضارة الرومانية مدينة الإله كانت نقطة عبور إلى عصر الظلمات في القرون الوسطى المسيحية.

وكل حديث عن لاهوت التاريخ السياسي عند **القديس أوغسطين** الذي مرجعيته مستمدة من الصراع بين المدينة السماوية والمدينة الأرضية، لا يخلو من حديث عن تجليات هذا التصور على المستوى التيولوجي إذ بعد غياب المسيح طبعا تنوب الكنيسة لتدبير شؤون البشر في انتظار اليوم الموعود أو زمان **المخلص** والمنقذ " فمن خلال خلق صورة الأب والحامي، والذات المماثلة للآخر، يتضح مدى الإشكالية التي تظهرها الجماهير المقهورة في تعلقها بالانقيادي بالزعيم المنقذ"[1].

إذا صورة المنقذ من شأنها أن تساهم في دفع عجلة الاستمرار السياسي حتى لا يتسرب اليأس في نفوس الضعفاء وحتى يزيد النبض في

1- حجازي مصطفى، سيكولوجية الإنسان المقهور . معهد الإنماء العربي.بيروت . د.ط 1980. ص92 .

قلب النظام السياسي وبهذا لا يعرف المجتمع التفكك والتدهور والانحطاط ومثل هذه التصورات نجدها حاضرة في أفكار **القديس بولس** الذي رفع أنظار الرعية المغلوب على أمرهم جراء صلب **المسيح** إلى السماء حيث "كانت لديه القابلية لاستنباط مغزى ميثيولوجي عن وفاة **عيسى المسيح** الناصري فقد هيمنت عليه عقلية الأساطير حيث الآلهة تموت وتحيى وقصص المنقذين الذين يهبطون من السماء لاقتداء البشرية" [1].

وفكرة المنقذ كان توظيفها لاهوتيا وتيولوجيا خدم السلطة الكنسية طوال فترة القرون الوسطى، بذلك امتدت يد القيصر لتطال الاقتصاد الذي تحول إلى إقطاع والسياسة التي تجسدت في ممالك وإمبراطوريات باسم **المسيح**، والفكر الذي لا يحيد عن منطق **أرسطو** وعن جعل روما مركز الكون، بل أصبحت مركزا للدغمائية تقمع الكلمة وتؤخرها بعدما كانت في البدء، وتضع كل مفكر أمام محاكم التفتيش كل هذا بحجة أن للرعية الله والغد وللقيصر الملك والسلطة بتأييد مطلق من الكنيسة وجعل غالبية الفكر السياسي لا تحيد عن البحث عن اشكالية مىشروعية السلطة الدينية على الزمانية " فإشكالية السلطة الدينية التي عرفها الفكر الديني لم تكن بمعزل عن الصراع بين السلطتين الزمانية والروحية ولم ينتهي هذا الصراع على الرغم من هيمنة سلطة على أخرى"[2].

فإن كان تراث الفلسفة الطبيعية الأولى عند اليونان جدل وصراع الأضداد مع **هرقليطس** فإن تراث الفكر السياسي الوسيطي هو جدل التوفيق بين السلطتين الروحية والزمانية بين مناهضة الدين أو تقريبه إلى الحياة العامة أو السياسية، وفي عصر الأنوار دنت محبة الكنيسة وارتفعت وسمت محبة العقل، وتقلصت دائرة الدين من الحياة العامة مقابل توسع سلطة العقل وهذا بالدعوة" إلى فصل نهائي للدين عن الدولة أو تحقيق علمانية سياسية

1- محمد فاروق الزين. المسيحية والإسلام والاستشراق .دار الفكر . دمشق . سوريا ط 3 .2003.
2- محمد جديدي . الحداثة ومابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رروتي . الدار العربية للعلوم.بيروت . الجزائر ط 1 354 . 2008

بما يضمن حياد الدولة، ومن البداية يكون النموذج التاريخي لهذا الحياد الذي يكمن في فصل الكنيسة عن الدولة"[1].

وعلى الرغم من بداية **القديس أوغسطين** المدافع فيها عن الديانة المسيحية فإننا نجد مسار التاريخ السياسي الأوغسطيني أمام دفاع آخر، وهو دفاع الضعفاء الذين سلبت حقوقهم وقمعت أفكارهم باسم الكنيسة وهذا الدفاع أكثر شراسة من التهم الموجة إلى الديانة المسيحية من قبل الإنسان الوثني زمان سقوط روما، لأن حقيقة هذا الدفاع هي من العقل الذي مهد إلى ثورات لاحقة لا تريد لا الملك ولا القيصر ولا القديس بل تريد **الحرية** و**الديمقراطية**، و**استقلالية الفرد** في تدبير شؤونه العامة، فنظرية الدولة عند **القديس أوغسطين** نواميسها مستمدة من البعد اللاهوتي والتاريخي والسياسي ومسارها صراع بين مدينتين، وحقيقتها رد الاعتبار إلى الديانة المسيحية قصد بلوغ **الخلاص وكمال التدبير السياسي**.

1- **المرجع نفسه ص 354.**